مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

تَحَلَّ بِالْجُرْأَةِ لِتَكُونَ حَكِيماً

تأليف:
جُون إِلِيسْ مَاكْ تَاكَارْت

ترجمة:
أحمد فريحي

2025

- **ترجمة**
- **قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية**
- 2025-02-18

جميع الحقوق محفوظة © 2025

تَحَلَّ بِالْجُرْأَةِ لِتَكُونَ حَكِيماً

خطبة أُلْقِيَتْ أَمَامَ جَمْعِية «الْهَرَاطِقَة» بِجَامِعَة كمبريدج في الثَّامِنِ مِنْ شَهرِ دُجَنْبِر سَنة 1909

تأليف: **جُون إِلِيسْ مَاكْ تَاكَّارْت**[1]

ترجمة: **أحمد فريحي**[2]

1- John McTaggart Ellis McTaggart (1866-1925)، فيلسوف إنجليزي، دكتور في الآداب، وعضو مجلس إدارة، ومحاضر بجامعتي ترنيتي وكمبريدج، وعضو الأكاديمية البريطانية. كان صديقا وأستاذا للفيلسوفين برتراند راسل وجورج إدوارد مور. يعتبر ماك تاكّارت رائدا للمثالية البريطانية، له اهتمام كبير بالفكر الهيجيلي، واشتهر بنظرية لا واقعية الزمان. من أهم مؤلفاته: الحد الأقصى للمطلق (1893)، دراسات في الجدل الهيجيلي (1896)، دراسات في الكوسمولوجيا الهيجيلية (1901)، بعض معتقدات الدين (1906)، تعليق على منطق هيجل (1910)، طبيعة الوجود، صدر الجزء الأول منه سنة 1921، وصدر الجزء الثاني بعد وفاته سنة 1927، كما جمعت مقالاته في كتاب تحت عنوان: دراسات فلسفية، وصدرت سنة 1934.

2- أستاذ الفلسفة، حاصل على الدكتوراه في الفلسفة من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، التابعة لجامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.

تقديم:

كانت هذه المقالةُ، الموجزة الألفاظ، الغزيرة المعاني درساً افتتاحياً لتأسيس جمعية هراطقة كمبردج سنة 1909. إنَّها خطبةٌ تحملُ شعار الشَّجاعة والجُرأة للخوض في القضايا الدِّينية والفلسفية؛ لأنَّ الدِّين والفلسفة لهما علاقة بحياة الإنسان وبرفاهيته. فالاعتقادُ السَّائد عند المُتدينين بأنَّ الدِّين يُلغي الأخلاق، وأنَّ الكُفر يُدمِّر القيم، اعتقادانِ حاولَ **ماك تاڤارت** في هذه المقالة بيان بطلانِهما بالفصل بين الدِّين والأخلاق من جهة، وببيان أنَّ المُؤمنين ليسوا أفضلَ ولا أسوأ حالاً من المُنكرين من جهة ثانية. لقد ناقش **ماك تاڤارت** في هذه المقالة مجموعة من القضايا الفلسفية الدِّينية من قبيل: الخير والشر، ومصير الإنسان، ومصير الكون، ومسألة الخلود والفناء، ومسألة وجود الله، والفرق بين القضايا الدِّينية والفلسفية والقضايا العلمية، كما طرح أسئلة تتعلق بإمكانية التسليم والإيمان والتَّخلي عن البحث من أجل تجنب الألم. وفي الأخير يدعو إلى البحث الدؤوب عن الحقيقة بدلا من ادعاء الوصول إليها.

من أجل فهم ما يحيط بسياق هذه المقالة جيّداً، لا بُد من فهم معنى ***heresy*** (الهرطقة)، أولا؛ ثم فهم عنوانها ثانيا؛ الذي هو شعارٌ قديم رُفع أكثر من مرة، وتمَ تأويله أكثر من مرة بما يتناسبُ مع السِّياق التَّاريخي للمرحلة. لذلك، يجبُ فهم السِّياق التَّاريخي الَّذي صيغتْ فيه في المقالة، والَّذي يرتبط بتأسيس جمعية هراطقة كمبريدج.

ما معنى ***heresy***؟ وما معنى شعار «تحلّ بالجرأة لتكون حكيما»؟ ومن وضعه أول مرة؟ وكيف وُظِّف وفُهم في السِّياقات التَّاريخية؟ ومتى تأسست جمعية هراطقة كمبردج؟ وما الَّذي ساهم في نشأتها؟ ومن هم أعضاؤها؟ وما هي دعوتُهم؟ وما هي الشَّخصيات الفكرية والعلمية الَّتي ساهمت في إشعاعِها؟ وما هي مساهماتهم؟ ومتى تم حلُّ هذه الجمعية؟ وما أسْبابُ حَلها؟

1. ما heresy «الهرطقة»؟

ورد في معجم **موريم ويبستر** تعريف الهرطقة كالآتي: « يرجع لفظ ***heresy*** إلى اللفظ اليوناني ***hairesis***، الَّذي يفيد فعل **الأخذ** و**الاختيار**. ومن معانيه الشائعة: **1أ.** اتباعُ رأي دينيٍّ يتعارضُ مع عقيدةِ الكنيسةِ. **ب.** إنكارُ حقيقةٍ صرَّح بها أحدُ الأعضاء المُعمَّدين في الكنيسة الكاثوليكية الرُّومانية. **ج.** رأيٌّ أو عقيدةٌ تتعارضُ مع عقيدةِ الكنيسةِ. **2أ.** الاختلافُ أو الانحرافُ عن النَّظرية أو الرأيِّ أو المُمارسة السَّائدة. **ب.** رأيٌّ أو مبدأٌ أو ممارسةٌ تتعارضُ مع الحقيقةِ أو تتعارضُ مع المُعتقدات أو المَعايير الَّتي يقبلُها الجميعُ.».[1]

على الرغم من أن الأصل اللغوي للفظ يشير إلى الاختيار، فإنَّ الدلالات الاصطلاحية ارتبطت بما يتعارض مع المعتقدات الدينية، المسيحية الكاثوليكية على الخصوص، وما يتعارض مع المعتقدات الشَّائعة بين عامة النَّاس.

غير أنَّ **جين إلين هاريسون** ترى أنَّ الهرطقة تدل على الاختيار الحر على المستويين، الفكري والعملي، وتسعى إلى رفض كل ما هو متوارث من معتقدات تقليدية، قالت: «إنَّ روحَ الهرطقة هو الاختيارُ الشَّخصي الحُر في الفعل، وفي الفكر على وجه الخصوص - إنّها رفض للمعتقدات وللعادات المتوارثة، باعتبارها معتقدات وعادات تقليدية.».[2]

وهذا المعنى يبرز التَّصور الَّذي تبناه أعضاءُ جمعية هراطقة كمبردج؛ أي إنَّ الهرطقة ليست سوى الفكر الحر، والفعل الحر، الَّذي يرفض كلَّ ما هو تقليدي، قد يتعارض مع العقل، أو مع التجربة، أو مع الأخلاق عامة، ومع الفكر الإنساني على الخصوص.

2. شعار Sapere Aude («سابيري أودي»= «تحل بالجرأة لتكون حكيما»):

إنَّ أولَ من ذكرَ هذه الوَصية والدَّعوة الَّتي غذتْ شعاراً هو الشَّاعر الرُّوماني **كوينتوس هوراتوس فلاكيوس Quintus Horatius Flaccus** (65 ق.م-8 ق.م)، وهو الشَّاعر المشهور بلقب **هوراس Horace**. لقد ذكرَ هذا الشِّعار في إحدى رسائله المُتضمنة في الكتاب الأول من رسائله الشِّعرية (***Epistles***). والعبارة الَّتي ذكر ضمنها هذا الشِّعار هي الآتية: «منْ بدأ فقدْ أنجزَ نصفَ العملِ؛ فابْدأ !، وتحلَّ بالجُرأة لتَعرف!»[3].

1- *Merriam-Webster's Collegiate Dictionary*, Eleventh Edition, 2003, p.582: «her-e-sy *n.pl* –sies [ME *heresie*, fr. AF, fr. LL *haeresis*, fr. LGK *hairesis*, fr. GK, action of taking, choice, sect, fr. *Hairein* to take] (13c) **1 a**: adherence to a religious opinion contrary to church dogma **b**: denial of a revealed truth by a baptized member of the Roman Catholic Church **c**: an opinion or doctrine contrary to church dogma **2a**: dissent or deviation from a dominant theory, opinion, or practice **b**: an opinion, doctrine, or practice contrary to the truth or to generally accepted beliefs or standards.»

2- Harrison, Jane Ellen., "Heresy and Humanity: An Address Delivered before "heretics" Society in Cambridge, on the 7th December 1909 ", *National Secular Society*, London: Watts & CO., 17 Johnson's Court, Fleet Street, E.C 1911. p.3

3- العبارة المترجمة أصلها باللاتينية:

« ***Dimidium facti, qui coepit, habet: sapere aude, incipe.*** »

وترجمتها الإنجليزية هي:

« ***He who has begun has the work half done; dare to know! begin!*** »

واعتمدَ **القديس أوغسطين** (354-430) هذا الشِّعار كحجة ليدفع محاوريه للتحلي بالجُرأة الَّتي تجعلُ الشَّخص حكيماً، وللتَّحرر من الخوف واتباع الغير؛ وذلك واضحٌ في قوله: «لا تستند كثيراً على السُّلطة، وعلى سلطتي بالخصوص، فهي سُلطة لا قيمةَ لها. واتبع قول **هوراس**: «تحلَّ بالجُرأة لتكونَ حكيماً!»، لكي لا يقْهرَك الخوفُ أكثر ممَّا يقهرَك العقلُ.».[4]

غير أنَّ شُهرة هذا الشِّعار بلغتِ الآفاق في الرُّبع الأخير من القرن الثَّامن عشر، لَمَّا ذكره الفيلسوف الألماني **إيمانويل كانط** في مقالته المشهورة «ماهي الأنوار؟» (1784)، لَمَّا اعتبر التَّحلي بالجرأة والشَّجاعة للخُروج من حالِ القُصور إلى حالِ الرُّشد الَّتي تدلُّ على الأنوار في القَرنين السَّابع عشر والثَّامن عشر. قال في الفقرة الأولى من مقالته: «التَّنويرُ هو خروجُ الإنسانِ من حالِ القصور الَّتي فرضَها على نفسه. والقصورُ هو عدمُ القُدرة على استعمالِ فهم الإنسانِ دون توجيهٍ من شخص آخر. وهذا القُصور يفرضه الإنسانُ على نفسِه ليس بسبب الافتقار إلى الفهم، وإنَّما يرجعُ إلى الافتقار إلى العزيمة والشَّجاعة لاستعمالِه دونَ توجيه من شخص آخر. وعليه، فشعار التنوير هو: «**كُن شُجاعًا في استعمال فهمك!**»».[5]

وسيراً على نفس الخُطى تبنى **جون إليس ماك تاڤارت** هذا الشِّعار، وجعله عنوان درسه الافتتاحي لتأسيس جمعية هراطقة كمبريدج سنة 1909. والغرض من هذا الشعار ليس التنوير كما هو الحال عند **كانط**، وإنما مواجهة المعتقدات الدينية، والقضايا الفلسفية التي لها علاقة بالدين، والتي تقف حاجزا أمام معرفة الحقيقة، وتحاول إلغاء الأخلاق.

ولهذا، فتأويل هذا الشعار، انطلاقا من أصله عند **هوراس**، ومرورا **بالقديس أوغسطين** و**كانط**، حتى **ماك تاغارت** يمكن تلخيصه كالآتي: فالشَّاعر **هوراس**، تحدث عن أهمية الانطلاقة والشُّروع والمبادرة في العمل، والَّتي هي نصف العمل، وحثَّ على النُّهوضِ واستجماعِ القوة، والتَّحلي بالجُرأة والشَّجاعة من أجل المَعرفة؛ و**القديس أوغسطين** دعا أتباعَه إلى التَّخلص من الخَوف ومن الاتباع والتَّقليد، والتَّحلي بالجُرأة من أجل تحصيلِ الحكمة؛ و**كانط** استعمَله كدعوة إلى استعمال الفهم والعقل من أجل الخُروج من حال القصور، ومن أجلِ رفع الأغلال الَّتي قيَّد بها الإنسان نفسه، والَّتي جعلته قاصرا. لكن صياغة **ماك تاڤارت** لهذا الشعار لا تختلفُ عن صياغة **أوغسطين**، وإنْ كانت تختلف عنها في التوظيف والأهداف، فقد استعملَ **ماك تاغارت** هذا الشِّعار بمعنى التَّحلي الشَّجاعة والجُرأة من أجل الخوض في القضايا الدِّينية والفلسفية، ورفض الخُضوع

4- https://en.wikipedia.org/wiki/sapere-aude

«**Don't rely so much on authority, especially on mine, which is null. There is also that saying from Horace: 'Dare to be wise!', so that fear may not subdue you more than reason does**. »

5- Kant., E. »An Answer to the Question: What is Enlightenment?«, Translated by Translated by Ted Humphrey, Hackett Publishing, 1992: «**Enlightenment is man's emergence from his self-imposed immaturity. Immaturity is the inability to use one's understanding without guidance from another. This immaturity is self-imposed when its cause lies not in lack of understanding, but in lack of resolve and courage to use it without guidance from another. *Sapere Aude*! "Have courage to use your own understanding!"--that is the motto of enlightenment.**»

للتأويلات المُحبطة الَّتي تجنبُ الإنسان مُمارسة البحث عن الحقيقة من جهة، والبحثِ عن السَّعادة من جهة ثانية، لكن **أوغسطين** كان غرضُه البحث عن الحقيقة الدِّينية، الَّتي الحقيقة المطلقة بالنسبة إليه.

3. جمعية هراطقة كمبردج: النشأة، والإشعاع، والأفول

إنَّ الشَّرارة الأولى الَّتي أضاءت الطَّريق لنشأة جمعية هراطقة كمبريدج هي الأصداء الَّتي خلفتْها مقالة **وليام تشاونر William Chawner** (1848-1911)، الَّتي عنوانها: «قدِّمْ بُرهانَك على كلِّ شيءٍ»، والَّتي ألقاها في الرَّابع عشر من شهر مايو سنة 1909، أمام جمعية الحِوار الدِّيني بكلية إمانويل، التَّابعة لجامعة كمبردج.

وعليه، فالجمعية تأسست سنة 1909 بجامعة كمبردج، وهدفُها الوقوف أمامَ كلِّ إكراهٍ ديني، ورفض لكلِّ سُلطة دينية إجبارية، ودعوة للتحرر من التقليد، وفي المقابل هدفُها الاحتفاء بالقيم الإنسانية. وكان أول كاتبٍ للجمعية هو الفيلسوف واللُّغوي الإنجليزي **تشارلز كاي أوغدن Charles Kay Ogden** (1889-1957)، والذي أصبح رئيسا لها سنة 1911، وظلَّ في هذا المنصب حتَّى سنة 1924، لمَّا خلفَه الخبير الاقتصادي الأمريكي **فيليب سارغنت فلورنس Philip Sargant Florence** (1890-1982). وكانت **دورا راسل Dora Russell** (1894-1986)، زوجة الفيلسوف **برتراند راسل** كاتبة للجمعية ما بين سنتي 1919-1918.

إنَّ أول من ألقى الدَّرس الافتتاحي أمام جمعية الهراطقة اثنان: أستاذة الأدب الكلاسيكي **جين إلين هاريسون Jane Ellen Harrison** (1850-1928)، وكان عنوان محاضرتها: «الهرطقة والإنسانية»، ألقيت في السَّابع من شهر دجنبر 1909، ثم الفيلسوف الإنجليزي **جون إليس ماك تاغارت**، وكان عنوان محاضرته: «تحلَّ بالجُرأة لتكونَ حكيماً»، ألقيت في الثَّامن من شهر دجنبر سنة 1909، وهي المقالة الَّتي نُقدِّم ترجمتَها الآن.

لقدْ قامتِ الجمعيةُ بعقد اجتماعات منتظمة بعد التَّأسيس، وبحلول سنة 1913، أي بعد ثلاث سنوات، زاد عددُ أعضائِها عن مئتي عضو، ورحبت بمساهمات أكبر النُّخب الفكرية، التي ضمت مثقفين، ومناضلين متحررين، وفلاسفة، وشعراء، ونقاد أدب، وسياسيين، وصحفيين، ولغويين، وعلماء، ورجال دين متمردين، وشملت كذلك نخبة من النِّسوة العالمات والمُثقفات...ومن أهم الأسماء البارزة في الجمعية نجد: الفيلسوف الإنجلزي **برتراند راسل**، وزوجته **دورا راسل**، والفيلسوف النَّمساوي **لودفيغ فيدغنشتاين**، والبلاغي الإنجليزي **آيفور أرمسترونغ ريتشاردز**، والفيلسوف الإنجليزي **جورج إدوراد مور**، والرِّوائي البريطاني **والتر دولامار**، والرِّوائي والشَّاعر **جورج سانتيانا**، والكاتب المسرحي السَّاخر الايرلندي **جورج برنارد شو...**[6]

6- لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى الموقع الإلكتروني الخاص بإرث المثقفين الإنسانيين بالمملكة المتحدة:

https://heritage.humanists.uk >the Cambridge-heretics

في سنة 1932، تم حلُّ الجمعية، وقد تزامنَ حلُّها مع صُعود الحزب النَّازي في ألمانيا، وموت بعض الأعضاء المؤسسين لها، والمساهمين فيها. لكنَّ المُساهمات التي قدَّمها الأعضاء، والمُتعاطفين معها، ابتداء من سنة 1909 إلى سنة 1931، ما زالت باقيةً، وتضمُ ما يقارب ستون مقالة، يمكنُ عرضُها حسب التَّرتيب الزَّمني كالآتي:

4. مساهمات الفاعلين في جمعية هراطقة كمبردج منذ التأسيس حتى الحل:

- في سنة **1909**، ألقت أستاذة الأدب الكلاسيكي البريطانية **جين إلين هاريسون** (1850-1928)، محاضرة تحت عنوان: «الهرطقة والإنسانية».[7] (الدرس الافتتاحي الأول)

- في سنة **1909**، ألقى الفيلسوف وأستاذ الأدب البريطاني **جون إليس ماك تاگارت** 1866-1925) محاضرة تحت عنوان: «تحل بالجرأة لتكون حكيما».[8] (الدرس الافتتاحي الثاني)

- في سنة **1910**، ألقى **نويل بورغيس ميشيل** محاضرة تحت عنوان: «حركة التربية العلمانية»[9]

- في سنة **1911**، ألقى الأنثروبولوجي والكاتب البريطاني **إدوارد كلود** (1840-1930) محاضرة تحت عنوان: «الظَّلامية في العلم الحديث».[10]

- في سنة **1911**، ألقى العالم، والكاتب، والناقد الاشتراكي البريطاني **ألفرد لويس باكراك** (1891-1966)، محاضرة تحت عنوان: «توماس هاردي شاعرُ الهرطقة».[11]

- في سنة **1911**، ألقى الفيلسوف والمنطقي مؤسس الفلسفة التَّحليلية **برتراند راسل** محاضرة تحت عنوان: «الدِّين والعلم».[12]

- في سنة **1911**، ألقى الكاتب المسرحي والنَّاقد السِّنيمائي الايرلندي المشهور **جورج برنارد شو** (1856-1950)، محاضرة تحت عنوان: «دينُ المستقبل»[13]

- في سنة **1911**، ألقى أستاذ الإنسانيات والأدب الكلاسيكي، والمترجم البريطاني **فرنسيس ماكدونالد كورنفورد** (1874-1943)، محاضرة تحت عنوان: «الدِّين والجامعة».[14]

7- Jane Harrison, ‘Heresy and Humanity’ (1909)

8- John McTaggart, ‘Dare to be wise’ (1909)

9- Noel Burgess Michell, ‘The Secular Education Movement’ (1910)

10- Edward Clodd, ‘Obscurantism in Modern Science’ (1911)

11- A.L. Bacharach, ‘Thomas Hardy, the Poet of Heresy’ (1911)

12- Bertrand Russell, ‘Religion and Science’ (1911)

13- George Bernard Shaw, ‘The Religion of the Future’ (1911)

14- F.M. Cornford, ‘Religion and the University’ (1911)

- في سنة **1912**، ألقى الراهب الكاثوليكي، والكاتب المُتمرد **جوزيف ماك كيب** (1867-1955)، محاضرة تحت عنوان: «المادية».[15]

- في سنة **1912**، ألقى البيولوجي وعالم الاجتماع الاسكتلندي **الأستاذ باتريك غيدز** (1854-1932)، محاضرة تحت عنوان: «الأسطورة والحياة- تأويل أوليمبوس كأرض قابلة للاكتشاف مرة أخرى».[16]

- في سنة **1912**، ألقى الشَّاعر الإنجليزي **هارولد إدوارد مونرو** (1879-1932)، محاضرة تحت عنوان: «الشِّعر الإنجليزي المعاصر».[17]

- في سنة **1912**، ألقت أستاذة الأدب الكلاسيكي البريطانية **جين إلين هاريسون** (1850-1928)، محاضرة تحت عنوان: «المذهب اللاإنساني: دراسة حول التَّحول وحول بعض الشُّعراء الفرنسيين المعاصرين ».[18]

- في سنة **1913**، ألقى الشَّاعر الإنجليزي المناهض للحرب **روبرت بروك** (1887-1915)، محاضرة تحت عنوان: «الدراما: الحاضرُ والمستقبل».[19]

- في سنة **1913**، ألقى النَّاقد الأدبي الدانماركي **جورج براندز** (1842-1927)، محاضرة تحت عنوان: «نيتشه».[20]

- في سنة **1914**، ألقى السِّياسي والفيلسوف البريطاني **غولدزورث لاوز ديكينسون** (1862-1932)، محاضرة تحت عنوان: «دينُ الزَّمن، ودين الأبدية».[21]

- في سنة **1914**، ألقى الفيلسوف التَّحليلي الإنجليزي **جورج إدوارد مور** (1873-1958)، محاضرة تحت عنوان: «فلسفة الحس المُشترك» سنة 1914.[22]

- في سنة **1914**، ألقت المُمثلة، والكاتبة، والصَّحفية، والمناضلة الإنجليزية **سيسيلي ميري هاملتون** (1872-1952)، محاضرة تحت عنوان: «أعرافُ المسرح» سنة 1914.[23]

15- Joseph McCabe, ‘Materialism’ (1912)

16- Prof. Patrick Geddes, ‘Mythology and Life—an Interpretation of Olympus as Rediscover-able’ (1912)

17- Harold Munro, ‘Contemporary English Poetry’ (1912)

18- Jane Harrison, ‘Unanimism: A Study of Conversion and Some Contemporary French Poets’ (1912)

19- Rupert Brooke, ‘The Drama: Present and Future’ (1913)

20- Georg Brandes, ‘Nietzsche’ (1913)

21- Goldsworthy Lowes Dickinson, ‘The Religion of Time and the Religion Of Eternity’ (1914)

22- G. E. Moore, ‘The Philosophy of Commonsense’ (1914)

23- Cicely Hamilton, ‘The Conventions of the Theatre’ (1914)

- في سنة **1914**، ألقى الشَّاعر، والمُنظر الفني، ومؤسس حركة المستقبل الإيطالي **فيليبو توماسو مارينيتي** (1876-1944)، محاضرة تحت عنوان: «نزعة المُستقبل» سنة 1914.[24]

- في سنة **1914**، ألقى الكاتب والمُثقف **جورج جيلبرت إيمي موري (1866-1957)**، محاضرة تحت عنوان: «مفهوم العالم الآخر» سنة 1914.[25]

- في سنة **1914**، ألقى الفيلسوف، والرِّوائي، والشاعر اللاتيني الأمريكي **جورج سانتيانا** (1863-1952)، محاضرة تحت عنوان: «تأويل المذهب المتعالي».[26]

- في سنة **1914**، ألقى **كونستونس ستوني** محاضرة تحت عنوان: «الأديرة المزدوجة المبكرة».[27]

- في سنة **1915**، ألقى الشَّاعر الإنجليزي **هارولد إدوارد مونرو** (1879-1932)، محاضرة تحت عنوان: «أسطورة الله في الشِّعر الحديث».[28]

- في سنة **1915**، ألقى الكاتب العلماني، والمحاضر الإنجليزي **سيسيل ديليزل بورنز** (1879-1942)، محاضرة تحت عنوان: «من دَين الفلسفة الحديثة إلى الأدب».[29]

- في سنة **1915**، ألقى المفكر الياباني **شينجي إيشي** محاضرة تحت عنوان: «حرية الفكر في اليابان».[30]

- في سنة **1915**، ألقت الكاتبة، والأديبة البريطانية **فيرنون لي** (1856-1935)، محاضرة تحت عنوان: «الحرب، والعاطفة الجماعية، والفن».[31]

- في سنة **1915**، ألقت المُؤرخة، والاقتصادية البريطانية **إلين باور** (1889-1940)، محاضرة تحت عنوان: «عبادةُ العذراء في القرون الوسطى».[32]

24- Filippo Tommaso Marinetti, ‘Futurism’ (1914)

25- Gilbert Murray, ‘The Conception of Another World’ (1914)

26- George Santayana, ‘An Interpretation of Transcendentalism’ (1914)

27- Constance Stoney, ‘Early Double Monasteries’ (1914)

28- Harold Monro, ‘The God-Myth in Modern Poetry’ (1915)

29- Cecil Delisle Burns, ‘The Debt of Modern Philosophy to Literature’ (1915)

30- Shinji Ishii, ‘Freedom of Thought in Japan’ (1915)

31- Vernon Lee, ‘War, Group-Emotion and Art’ (1915)

32- Eileen Power, ‘Cult of the Virgin in the Middle Ages’ (1915)

- في سنة **1916**، ألقت النَّاشطة السِّياسية والحقوقية، والمناضلة البريطانية **هيباتيا براندلاوف بونر** (1858-1935)، محاضرة تحت عنوان: «الإيمانُ، وصناعةُ الإيمان، واللاإيمان».[33]

- في سنة **1916**، ألقت الكاتبة، والمناضلة الاشتراكية البريطانية **دورا بلاك** (1894-1986)، التي أصبحت تدعى **دورا راسل** لما تزوجت الفيلسوف **برتراند راسل**، محاضرة تحت عنوان: «بعض التَّصورات من الكوميديا».[34]

- في سنة **1916**، ألقى البيولوجي، مبدع مصطلح الجينات البريطاني **وليام بيتيزون** (1861-1926)، محاضرة تحت عنوان: «النَّظرية التَّطورية والشُّكوك الحديثة».[35]

- في سنة **1917**، ألقت الكاتبة، والصحفية، والناقدة الأدبية البريطانية **ريبيكا ويست** (1892-1983)، محاضرة تحت عنوان: «العاطفة والتَّربية».[36]

- في سنة **1917**، ألقى الكاتب والمُحلِّل النَّفسي البريطاني **أدريان ليزلي ستيفن** (1883-1948) محاضرة تحت عنوان: «في الدِّفاع عن الفهم».[37]

- في سنة **1917**، ألقت الفيلسوفة التَّحليلية البريطانية **ليزي سوزان ستيبينغ** (1885-1943)، محاضرة تحت عنوان: «فائدةُ الميتافيزيقا».[38]

- في سنة **1918**، ألقت الرياضية، والكيميائية البريطانية **دوروتي وورينك** (1894-1976)، محاضرة تحت عنوان: «العلاقة البينية بين العلم والفلسفة».[39]

- في سنة **1918**، ألقى **د. و. بلاك** محاضرةً تحت عنوان: «الأب بلوش وغيره من المدافعين عن المسيحية».[40]

- في سنة **1918**، ألقى **جورج سانتيانا** ألقى محاضرةً تحت عنوان: «الرَّأي الفلسفي في أمريكا».[41]

33- Hypatia Bradlaugh Bonner, ‘Belief, Make-belief, and Unbelief ‘ (1916)

34- Dora Black (later Russell), ‘Some Conceptions of Comedy’ (1916)

35- Professor W. Bateson, ‘Evolutionary Theory and Modern Doubts’ (1916)

36- Rebecca West, ‘Emotion and Education’ (1917)

37- Adrian Stephen, ‘In Defence of Understanding’ (1917)

38- L. Susan Stebbing, ‘The Utility of Metaphysics’ (1917)

39- D. Wrinch, ‘The Inter-Relation of Science and Philosophy’ (1918)

40- D. W. Black, ‘The Abbé Pluche and other Christian Apologists’ (1918)

41- George Santayana, ‘Philosophic Opinion in America’ (1918)

- في سنة **1918**، ألقى منظر الفكر السِّياسي، والأستاذ الجامعي البريطاني **غراهام ولاس** (1858-1932)، محاضرة تحت عنوان: «المَسعى العقلاني».[42]

- في سنة **1918**، ألقى الكاتب البريطاني **إميل بيتريك كورسولز جونز** (1893-1966)، محاضرة تحت عنوان: «والتر دو لا مار».[43]

- في سنة **1918**، ألقت **دورا بلاك** محاضرةً تحت عنوان: «كيف تكون سعيدا- بعض وصفات القرن الثامن عشر».[44]

- في سنة **1919**، ألقت الكاتبة الإنجليزية **جين ماريا ميس ستراكي** (1840-1928)، محاضرة تحت عنوان: «الحالة في مقابل الشِّعر الحديث».[45]

- في سنة **1920**، ألقى الكاتب البريطاني **إميل بيتريك كورسولز جونز** (1893-1966)، محاضرة تحت عنوان: «فن والتر دو لا مار».[46]

- في سنة **1920**، ألقت **إلين باور** محاضرة تحت عنوان: «الرَّاهبة في الأدب».[47]

- في سنة **1920**، ألقى كلٌّ من النَّاقد الأدبي والبلاغي البريطاني **آيفور أرمسرونغ ريتشاردز** (1893-1979) والكاتب واللُّغوي البريطاني **تشارلز كاي أوغدن** (1889-1957) محاضرة تحت عنوان: «الحركة الرَّمزية الجديدة».[48]

- في سنة **1920**، ألقت **إلين باور** محاضرة تحت عنوان: «نداءٌ من أجل القرون الوسطى».[49]

- في سنة **1920**، ألقى الكاتب والنَّاقد البريطاني **ليتون ستراكي** (1880-1932)، محاضرة تحت عنوان: «الفنُ والخلاعة».[50]

42- Graham Wallas, ‘Rational Purpose’ (1918)

43- E. B. C. Jones, ‘Walter de la Mare’ (1918)

44- Dora Black (later Russell), ‘How to be Happy—Some 18th Century Recipes’ (1918)

45- Miss Strachey, ‘The Case against Modern Poetry’ (1919)

46- E. B. C. Jones, ‘The Art of Walter de la Mare’ (1920)

47- Eileen Power, ‘The Nun in Literature’ (1920)

48- I. A. Richards and C. K. Ogden, ‘The New Symbolist Movement’ (1920)

49- Eileen Power, ‘A plea for the Middle Ages’ (1920)

50- Lytton Strachey, ‘Art and Indecency’ (1920)

- في سنة **1921**، ألقى **هارولد مونرو** محاضرة تحت عنوان: «هلْ يمكن لأيِّ دينٍ أن يستوفي شروط الحضارة الأوروبية الحديثة؟».[51]

- في سنة **1921**، ألقت الباحثة، والمترجمة **ماريت سومان** (1889-1941)، محاضرة تحت عنوان: «الأدب الفرنسي الحديث».[52]

- في سنة **1921**، ألقت الشَّاعرة والأديبة البريطانية **إديت سيتويل** (1887-1964)، محاضرة تحت عنوان: «النَّقد الحديث».[53]

- في سنة **1921**، ألقى النَّاقد الفني البريطاني **كليف بيل** (1881-1964)، محاضرة تحت عنوان: «فن الجاز».[54]

- في سنة **1922**، ألقى الصَّحفي البريطاني، مؤسس مجلة «رجل الدولة» **بازيل كينغسلي مارتان** (1897-1969)، محاضرة تحت عنوان: «علم النَّفس الصحافة» سنة.[55]

- في سنة **1922**، ألقى الفيلسوف والعالم الاسكتلندي **لانسيولو لاو وايت** (1896-1972)، محاضرة تحت عنوان: «رحلات الذَّرات».[56]

- في سنة **1922**، ألقى الفيلسوف الإنجليزي **برتراند راسل** محاضرة تحت عنوان: ««الدِّين التقليدي»؛ ودورا راسل، «العقيدة الصناعية»».[57]

- في سنة **1922**، ألقى الرياضي، وعالم الإعلاميات البريطاني **ماكس نيومان** (1897-1984)، محاضرة تحت عنوان: «هل يمكن إنقاذ الفيزياء من الرِّياضيين؟».[58]

- في سنة **1923**، ألقى عالم الجينات البريطاني **جون بوردون ساندرسون هالدان** (1892-1964)، محاضرة تحت عنوان: «أسطورة ديدالوس».[59]

51- Harold Monro, ‘Can any Religion meet the Conditions of Modern European Civilization?’ (1921)

52- Dr. Marriette Soman, ‘Modern French Literature’ (1921)

53- Edith Sitwell, ‘Modern Criticism’ (1921)

54- Clive Bell, ‘Jazz Art’ (1921)

55- B. K. (Kingsley) Martin, ‘The Psychology of the Press’ (1922)

56- Lancelot Law Whyte, ‘Adventures of Atoms’ (1922)

57- Bertrand Russell, ‘Traditional Religion’; and Dora Russell, ‘The Industrial Creed’ (1922)

58- Max Newman, ‘Can Physics be saved from the Mathematicians?’ (1922)

59- J. B. S. Haldane, ‘Daedalus’ (1923)

- في سنة **1923**، ألقى الكاتب، والرِّوائي البريطاني **والتر دو لا مار** (1873-1956)، محاضرة تحت عنوان: «الجُزُر وربينسون كروزوي».[60]

- في سنة **1923**، ألقى النَّاقد، والمنظر الفني البريطاني **روجر فراي** (1866-1934)، محاضرة تحت عنوان: «تعبير».[61]

- في سنة **1924**، ألقت الأديبة الحداثية البريطانية **فيرجينيا ولف** (1882-1941)، محاضرة تحت عنوان: «شخصيةٌ في الخيال».[62]

- في سنة **1926**، ألقى النَّاشر، والصَّحفي، والمناضل البريطاني (زوج فيرجينيا ولف)**ليونارد ولف** (1880-1969)، محاضرة تحت عنوان: «مطاردة المثقفين».[63]

- في سنة **1929**، ألقى الفيلسوف، والمهندس، والمُربي **لودفيغ فيدغنشتاين** (1889-1951)، محاضرة تحت عنوان: «الأخلاق».[64]

- في سنة **1930**، ألقى **أدريان ستيفن** محاضرة تحت عنوان: «وصف التَّحليل الفرويدي» سنة 1930.[65]

- في سنة **1931**، ألقى **برانس ميرسكي** محاضرة تحت عنوان: «المادية الجدلية: ».[66]

60- Walter de la Mare, ‘Islands and Robinson Crusoe’ (1923)

61- Roger Fry, ‘Composition’ (1923)

62- Virginia Woolf, ‘Character in Fiction’ (1924)

63- Leonard Woolf, ‘Hunting the Highbrow’ (1926)

64- Ludwig Wittgenstein, ‘Ethics’ (1929)

65- Adrian Stephen, ‘A Description of Freudian Analysis’ (1930)

66- Prince Mirsky, ‘Dialectical Materialism’ (1931)

5. مُلَخَّصُ الْمَقَالَة:

يدعو **ماك تاكْارت** في الفقرة [1] أعضاء جمعية هراطقة كمبريدج إلى التشبث بشعار «التحلي بالجرأة لتكون حكيما» على غرار بعض الجامعات التي رفعت هذا الشعار.

يُقِرُ في الفقرة [2] بأنَّ البحثَ عن الحقيقة يقتضي التَّحلي بمجموعةٍ من الفضائل، من قبيل المثابرة، والصَّبر، والتَّواضع، وسعة الصدر. أمَّا الخوضُ في أمور الدِّين والفلسفة، فيحتاجُ إلى التَّحلي بالشَّجاعة. فعلى الرَّغم من أنَّ الفلسفةَ لا تبدو لها علاقة واضحةً مع الدِّين، فإنَّه لا يُمكنُ حلُّ مشكلةٍ فلسفية بمعزلٍ عن التأثير في الدِّين.

ويُشيرُ في الفقرتين [3] و[4] إلى إنَّ السَّببَ الَّذي يجعلُ الشَّخص مضطرا للتَّحلي بالشَّجاعة لمَّا يخوضُ في قضايا الفلسفة والدِّين، يتجلى في كون الفلسفة والدِّين لهما تأثير في رفاهية الإنسان وسعادته، أو في بؤسه وتعاسته: فإذا آمنا بمذهب فلسفي أو ديني، واعتقدنا أنَّه صحيح، فهذا يمنحُ حياتَنا قيمةً، ويجعلنا سعداء، وإذا اعتبرناه مذهباً خاطئاً، فهذا يفقدُ قيمة حياتنا، ويجعلنا تعساء. وعليه، فالسَّعادةُ والتَّعاسةُ لهما دورٌ كبير في حياتنا، ويتعلقان برفاهيتنا.

وفي الفقرة [5] يتساءل عن سببِ إهمالِ أهمية الدَّور الَّذي يلعبُه الدِّين في حياتنا، ويرجعُ ذلك إلى خطأيْن وقعَ فيهما المتديِّنُون:

في الفقرة [6] يشير إلى الخطأ الأول: الَّذي يتجلى في القول بأنَّ صحة الدِّين تُلغي الأخلاق، وكأنَّ ما يُقره الدِّين يختلفُ عمَّا توجبه الأخلاق. فحسب هؤلاء: كلُّ من يؤمنُ بصحة الدِّين، ويقبلُ الأخلاقَ، يتصرفُ على نحو غير منطقي، ويعتبرُ أحمقا. وقد ردَّ **ماك تاكْارت** عن هذا بقوله: إنَّ الآراء الدِّينية قد تؤثرُ في بعض الجُزئيات الأخلاقية البسيطة، لكنَّها عاجزةٌ عن إلغاء الفَرق بين الصَّواب والخطأ، أو تغيير روح الأخلاق؛ فلا يوجد رأيٌّ دينيٌّ قادر على تغيير اعتقادي بأنَّه من الصَّواب أن نسقي كلبا عطشاناً، وأنَّه من الخطأ أنْ نرتكبَ أعمال القرصنةُ والغشُ. فالدِّين غيرُ قادر على تغيير الصَّواب والخطأ. وعلي، فما تُقرِّه الأخلاق، لا يُغيِّرُه الدِّين، والدِّين لا يُلغي الأخلاق، وقد نقول إنَّ الدِّين هو مجرد تحصيل حاصل بالنسبة إلى الأخلاق.

وفي السِّياق نفسه، يذكر في الفقرة [7] أنَّنا نجد الَّذين يُقرون بالدِّين، يعتبرون أنَّ الإيمان بالدِّين يحول دون السَّعي إلى تحصيل الفضائل الأخلاقية، وهذا الرَّأي خاطئ كذلك، بالنسبة إلى **ماك تاكْارت**. فقد أثبت التَّجربة خلافه؛ لأنَّ السَّعي إلى تحصيل الفضائل ليسَ له علاقة بالإيمان: فالذين يؤمنون بالله، وبالخلود يتساوون مع المنكرين، وهم ليسوا أفضل ولا أسوأ منهم. وعليه، فالإيمانُ والكفرُ سيان من النَّاحية الأخلاقية، فكونك مؤمنا، لا يعني كونَك مُتخلقا، وأكتر خلقاً من المنكر، وكونُ الكافر غير مؤمن بالدِّين لا يجعلُه أقلَ أخلاقا، وهذا يبرز الفصلَ التَّام بينَ الدِّين والأخلاقِ.

وفي الفقرة [8] يشيرُ إلى الخطأ الثَّاني: الَّذي يتجلى في اعتبار المُتدينين بأنَّ الدِّين يلغي التَّجربة، الَّتي تحظى بقيمة بالغة. وهذا خطأ كذلك.

في الفقرة [9] تحدَّث عن مسألة مصير الكون، وهي قضية دينية وفلسفية، وأشار إلى أنَّها تؤثر في حكمنا على خَيْريَّة الكون. كما أشار إلى أنَّ تجربة الحُب في الحياة الدُّنيا كافية لإلغاء الحُب الأبدي في الآخرة. وهذا إثبات لقيمة التَّجربة على حساب الإيمان بالمصير الدِّيني والفلسفي.

في الفقرة [10] يرى أنَّ كل التَّصورات الدِّينية السَّابقة خاطئة من الأساس. لكنَّه يشيرُ في الوقت نفسه إلى أنَّ ردود الأفعال النَّاتجة عنها تُلغي أهمية الدِّين، وهذا خطأ جسيم كذلك. فلو كانتِ الإجابات عن مشكلات الدِّين صحيحة، فإنَّ الخير سيظلُ مختلفا عن الشَّر، وسيظل الصَّواب مختلفا عن الخطأ؛ وسيكون ما نفعله ونُحس به في هذه الحياة شرا، وسيكون ما نفعله ونحس به فيها شرا. فإذا تساءلنا عن مقدار الخير والشَّر في الكون الموجودين في الكون، وتساءلنا عن المصير النِّهائي للكون ولنا، فإنَّ الإجابة تكون قائمة على الحل الَّذي نتبناه في المشكلات الدينية والفلسفية. فالإيمان بأنَّ الأمور خيِّرة في الكون يجلبُ السعادة، والإيمان بأنَّ الأمور سيئة فيه يجلبُ التَّعاسة والشَّقاء على الإنسان، وهذا له أثر عملي على حياة الإنسان.

يُناقش في الفقرة [11] مسألتي الخير والشَّر المطروحتين في الدِّين والفلسفة، من خلال طرح السُّؤال الآتي: هل الكون أكثر خيرا وأقل شرا؟ فعلى الرَّغم من أنَّ الإجابة عن هذا السُّؤال تبدو مستحيلة، فإنَّ بعض المذاهب أقرَّت بأنَّ الخير هو السَّائد، وأخرى أقرَّت بأنَّ الشَّر هو السَّائد. وهذه القضايا لا تحتاج إلى إكراه وإجبار، لأنَّ الخير والشَّر يرتبطان بما هو عملي.

يُشير في الفقرة [12] إلى أنَّه إذا كان يُعتقد أنَّ الإيمانَ بالخير والشَّر يكون له تأثير على سعادة الإنسان، فإنَّ السُّؤال العام حوله ليس له تأثير في سعادته أو شقائه. إنَّنا لا نملكُ سوى وسائل تجريبية للحكم على الحاضر، وعلى استشراف المستقبل القريب، وهي وسائل أكثر يقينية من القضايا العامة حول الكون. فحياةُ الإنسانِ مرتبطةٌ بفترة قصيرة، ومرتبطةٌ بجسده الَّذي لا يُعرف إلا بالملاحظة، ولا شيء غير ذلك.

يَطرحُ في الفقرة [13] مسألة مصيرَ الكون من جديد، ويطرح السُّؤال الآتي: هل سيصبح مصير الكون أفضل أم أسوأ في المستقبل؟ فالنَّظر إلى الخير والشَّر في المستقبل يختلف عن النَّظر إليهما في الماضي: فلو كنا نعتبرُ أنَّ الشَّر أكثر من الخير، وأنَّ الماضي أكثر شرا، فهذا يجعلنا نستبشر بالمستقبل الخيِّر أو الأقل شرا؛ ولو كنا نظن أنَّ الماضي أكثر خيرا من المستقبل، فهذا يجعلنا نتشاءم من المستقبل.

يُناقش في الفقرة [14] مسألة الخلود، ويعتبر أنَّ هناك من يرغبون في الفناء، وهناك من يؤمنون بالخلود، وآخرون لا يبالون بهما معا. ويشير إلى أنَّ السُّؤال عن نوع الحياة المستقبلية مهم، على الرَّغم من عدم اليقين بوجود حياة مستقبلية.

في الفقرة [15] يناقشُ مسألة وجود الله، ويعتبرُ أنَّ هذه القضية تم تهويلها بسبب عدم معرفة البدائل. فالبدائل المطروحة هي: المذهب الشكي، والمذهب المادي، وكلاهما رفضا أنْ يكون هناك انسجام أو نظام أو خيْر في الكون. وهذا خطأ، لأنَّ هناك مذاهب أقرت بوجود نظام وانسجام وخير في الكون، على الرَّغم من أنَّها أنكرتْ وجود الله، ثم يضيفُ أنَّ وجودَ الله ليس فيه ضمانة على خيرية الكون. فالشَّر في الكون حاصل، والله

لم يعترض عليه، ولا نعرفُ مقدار الشَّر الذي تسامح معه، ورحب به، وإذا كان الشر موجودا، فاللهُ لم يمنعه، ولا نعرف مقدار الشَّر الذي خرج عن قدرته. ولهذا، فالإيمانُ بالله قد يكونُ حجةً على التَّفاؤل، لكنَّه أبعد ما يكون أنْ يكونَ دليلاً تاماً على التفاؤل.

في الفقرة [16] يشيرُ إلى أنَّه يمكن اعتبار إيمان النَّاس بالله أو عدم إيمانهم به يرتبط بسعادتهم، وحتَّى الذين لا يبالون بهما، لو اهتموا بوجود إله، فهذا الإله لا يختلفُ عن الإله الذي افترضه اليهود القدامى أو الذي افترضَه اليسوعيون، أو الَّذي افترضَه الكالڤينيون في القرن السَّادس عشر.

في الفقرة [17] يشيرُ إلى أنَّ الإيمانَ بالقضايا الدِّينية يؤثر في سعادة الإنسان. وفي نفس الوقت يشير إلى أنَّ المعتقدات قد تجعل حياة الإنسان شقية وتعيسة لمَّا يتجاوز اهتمامه بالحاضر، ويتجاوز ببيئته المباشرة. لذلك، يكونُ الإنسان في أمس الحاجة إلى الشجاعة الَّتي تجعله لا يقبلُ إلاَّ الإيمان القائم على أدلة، ويرفضُ الإيمان الذي يفتقر إلى الأدلة. هذا على الرَّغم من أن الإيمان القائم على أدلة يكون مُنفِّرا، وعلى الرغم من أنَّ الإيمان الذي يفتقر إلى الأدلة يكون مُغرياً. وهذا لنْ يكونَ ميَّسرًا في بعض الأحيان.

في الفقرة [18] يُجري مقارنة بين الدِّين والفلسفة، والعلم والحياة اليومية: ففي العلم والحياة اليومية لا نختلفُ حول الحل الصَّحيح للمشكلة المطروحة فيهما، بخلاف الدين والفلسفة؛ فكل مشكل مطروح في العلم يمكنُ الحسم فيه معرفيًّا.

وفي السِّياق نفسه، يشيرُ في الفقرة [19] إلى أنَّ التجربة في المعرفة تكونُ حاسمة في الخلاف، عكس الدِّين والفلسفة اللذين يستعصيان عن كلِّ تجربة ممكنة.

في الفقرة [20] يخلصُ إلى أنَّ القضايا الدِّينية الفلسفية تمارس ضغطا شديدًا على النَّاس لتجعلهم يُقرون بضُعفهم، ويصرحون بامتلاكهم الحق في الإيمان بقضية ما إذا كان صدقُها خيرًا، وإذا كان كذبُها شرًّا. ويعلق على هذا المطلب بالرَّفض التَّام، لعدم وجود علاقة جوهرية قبلية بين الوجود والخير.

في الفقرة [21] يستحضرُ تصور أولئك الذين يعتبرون الخير يتجلى في الاستجابة إلى الرَّغبات، ويعترض عليهم بالقول: إنْ كان الخير موجود في الرَّغبات، فعلى الواقع أنْ يستجيب إلى هذه الرَّغبات ويشبعُها. لكن هذا غير صحيح، لأنَّ وجود الرَّغبة لا ينطوي على إشباعها، وكلنا لنا رغبات لمْ تُشبع، ويستحيلُ إشباعها.

في الفقرة [22] يخلصُ إلى أنَّ الألم الَّذي يسبِّبُه الإيمانُ يتجلى في زيف الإيمان. وإذا فكَّرنا بحرية في القضايا الدِّينية، فإننا لن نتوصل إلا إلى ما توصل إليه الذين فكَّروا قبلنا، وهو النَّتائج الأليمة للغاية. فكلُّ من فكر بحرية في القضايا الدِّينية لم يصل إلاَّ إلى ما وصلت إليه المذاهب اللاَّهوتية القديمة. إنَّ جهنم الخالدة، والإله الظَّالم، هي نتائج للتقاليد القديمة، وليست نتائج للتفكير المُستقل. وإذا كنا لم نجد في الكون أملا ولا غاية ولا قيمة أكثر ممَّا وجدَه **هوبز**، و**هيوم**، و**شوبنهاور**، فإنَّ من كان يأملُ فيما هو أفضل يجد ألما.

في الفقرة [23] يخلصُ إلى أنَّه إذا لمْ نجْنِ من التفكير في القضايا الدِّينية سوى الألم، فلِمَ لا نتخلى عن التَّفكير فيها؟ ولِمَ لا نقبلُ المُعتقدات الدِّينية ونُسلِّم بها دون بحث وتدقيق؟ فإذا كانت هناك حُجج تدعمها، وأخرى تُفنِّدها، وإذا كان آخرون يقبلونَها بدون بحث، فلِمَ لا نقبلُها نحن؟

في الفقرة [24] يعتبرُ أنَّ هذا الاقتراح كانَ بإمكانه أنْ يُقبل عند الجيلين السَّابقين، لكن في العصر الحالي، لا يمكنُ لأيِّ شخصٍ أنْ يقبلَ الدِّين بهذه الطَّريقة: فالمسيحيةُ التي كان بإمكانِ الإنسان أنْ يؤمن بها منذ ستين عاما، لمْ تكن من النَّوع الذي يمكنُ لأي أنسان أنْ يتمنى أنْ يكون صحيحا، إلا إذا كان إنساناً مجردًا من الإنسانية. ولا زالتِ المسيحيةُ من هذا النوع، ومهما تطوَّرت، فهي لا تختلفُ عن سابقاتها. قد يدعي بعضهُم بالقول، إذا كانت وجهة نظر المسيحية إلى الكون خيِّرة، فلِمَ لا نقبلها ونترك المُخاطرة بالبحث؟

في الفقرة [25] يتساءل: لِمَ نشغلُ أنفسنا بالتَّفكير في القضايا الدينية؟ أليسَ الكونُ أوسع من أنْ نختزلَه في هذه القضايا، ونحن نعيش حياة قصيرة؟ ألا نستمتعُ بالخير، ونسعى إلى زيادته ومُشاركته مع الآخرين، ونترك الأسئلة المتعلقة بما خَلْفنا، وبما وَراءَنا، وحتى بما فَوْقَنا.

في الفقرة [26] يستطردُ بالقول: لكن الذين يبحثون عن الحقيقة، فما هي مكافأتهم؟ ماذا نقول للفيلسوف **سبينوزا** الذي أوصى بالبحث عن الحقيقة، ومن أجل الحقيقة، دون خوف، ودون ادخار جهد، والحقيقة هي المكافأة عن البحث عن الحقيقة.

في الفقرة [27] يشيرُ إلى أنَّه على الرَّغم من أنَّ عبارة **سبينوزا** صادقةٌ وجميلةٌ، إلاَّ أنَّها لا تمثل الحقيقة برُمتها، فرغم أنَّ معرفة الحقيقة خيرٌ عظيمٌ، إلاَّ أنَّها ليست هي الخير الوحيد، وليست هي الخير الأسمى.

في الفقرة [28] يتساءل: هلِ الحقيقةُ تكون دائما هي المكافأة للبحثِ عن الحقيقة؟ والجواب بالسَّلب: فإذا اعتقد البعض أنَّهم قد بلغوا الحقيقة، فإنَّ الآخرين قد فشلوا في بلوغها. أمَّا مكافأة البحث، فهي ليست شيئا سوى البحث نفسه.

في الفقرة [29] يُقرُ بأنَّ البحثَ يرتبط بالمُعاناة، وأنَّ نتيجته: إمَّا أنْ تكونَ مكافأة بالفرح والسَّعادة، أو تكون بالألم والشَّقاء.

وفي الفقرة الأخيرة [30] يستنتج أنَّه بالرَّغم من بعض النَّاس يشتاقون إلى الحقيقة، ويبحثون، عنها، فإنَّهم سيظلون يبحثون عنها؛ لأنَّهم ملزمون بذلك. وعليه، فالحقيقة بحث دؤوب ومستمر.

النَّصُ المُترجَمُ:

[1][3]رفعتْ جامعةٌ في الطَّرفِ الآخرِ من العالمِ شعارًا يُعبِّر عن طبيعةِ الجَامعة على أحسنِ وجه، وهذا الشِّعارُ هو: تحلَّ بالجُرأة لِتكونَ حكيماً.[67] ولهذا، فمنَ الواجبِ على جمعيتِنا أنْ تقْتدي بهذِه الوصيةِ الَّتي أودُ أنْ أتحدَّث عنْها.

[2] إنَّ هدفَنا هو أنْ نرقى بالنِّقاش حول الدِّين، والفَلسفة، والفَن. وفي نقاش الدِّين والفلسفة تكمنُ أهميةٌ خاصة لصِيغة الأمر المتضمنة في شعار: «تَحَلَّ بالجُرأة لتكونَ حكيماً». إنَّ الحَاجةَ تكونُ ماسةٌ، في البحثِ عن الحقيقة بجميع أنواعها، إلى التَّحلي بالعديد من الفضائل من قبيل: المُثابرة، والصَّبر، والتَّواضع، وسِعة الصَّدر. وكثيراً ما تكونُ الشَّجاعةُ مَطلوبةً في البحث، لأنَّ النَّاظر في الطَّبيعة يجب عليه أنْ يُخاطرَ بحياتِه، على الغالب، بسببِ نَظَرِه. ولكنْ هناك حاجةٌ أخرى للشَّجاعة لمَّا نجري مقاربَةً بين الدِّينِ والفلسفةِ.

[3] تأتي الحَاجةُ إلى الشَّجاعة من التَّأثير الهائل في رفاهيتنا وفي رفاهية إخواننا من البشر، من مظاهر الواقع المُتعلقة بالدِّينِ والفَلسفة. إنَّ هذا التَّأثير، هو في المقام الأول، [4] سِمةٌ من سمات هذا الواقع، ومُشكلةٌ من المُشكلاتِ الَّتي نسمِّيها دينيةً على سبيل العادة، غير أنَّ هذا التأثير ينتشرُ في كلِّ الفلسفة؛ لأنَّني أعتقد أنَّه لا تُوجدُ مسألةٌ فلسفيةٌ- ولو تعلقتْ بالمَنطقِ أو بالعلمِ- إلاَّ ويُمكننا أنْ نكون على يقين مُسبقٍ من أنَّ حلَّها سيكونَ له تأثيرٌ في مُشكلاتِ الدِّينِ.

[4] إنَّ الأهميةَ العميقةَ الَّتي تكتسبُها الحقيقةُ فيما يتعلقُ بهذه المسائلِ بالنِّسبة إلى رفاهيتنا مفادُها أنَّ إيمانَنا بهذه الحقائق سوفَ يكونُ له أيضاً أهميةً جليلةً لرفاهيتنا. فإذا كانتْ حياتُنا ستكتسبُ قيمةً جليلةً إذا كانَ مذهبٌ مُحدَّدٌ صحيحاً، فإنَّها ستفقدُ قيمَتها على نحوٍ هائلٍ إذا كانَ مذهبٌ خاطئٌ، وبناء على ذلك، فالإيمانُ **بأنَّه** صحيحٌ سيجعلُنا، بطبيعة الحالِ، سُعداء، والإيمانُ **بأنَّه** خاطئٌ سيجعلُنا تُعساء. والسَّعادةُ والتَّعاسةُ لهُما علاقةٌ وطيدةٌ بالرَّفاهيةِ.

[5] إنَّ الأهميةَ العَملية لهذه الأمورِ الدِّينيةِ والفلسفيةِ في حياتنا لمْ يتمْ الاعترافُ بها بشكلٍ كافٍ في السَّنوات الأخيرة. وأعتقدُ أنَّ هذا الخطأ يرجعُ إلى ردِ فعلٍ مُبالغٍ فيه مُترتبٌ عن خطأين سقط فيهما الطَّرفُ الآخرُ.

[6] إنَّ أولَ هذه الأخطاء يتجلَّى في الإقرار بأنَّه، إذا كانتْ بعضُ الآراء حولَ الأمور الدِّينيةِ صحيحةً، فإنَّ كلَّ الأخلاقِ ستفقدُ شرْعيتَها. وبناء على هذا، بطبيعة الحال، فإنَّ كلَّ الأشخاصِ الَّذين يؤمنون بهذه الآراء ومازالوا يقبلون الأخلاق، فإنَّهم سيتصرفون بطريقةٍ غير منطقيةٍ وحمقاء. يبدو لي أنَّ هذا الرَّأي خاطئٌ تمامًا. إنَّ آرائنا في المسائل الدِّينية قدْ تُؤثرُ[5] في بعض تفاصيل الأخلاق- مثل مُراعاة يومٍ محدَّد للعطلة، أو استعمالِ نبيذ أو

67- الجامعة المقصودة هي جامعة نيوزيلاندا، الّتي رفعت الشِّعار اللاتيني: «***Sapere Aude***»، ومعناه: تحلَّ بالجُرأة لتكونَ حكيماً»، أو «كنْ جريئاً لتكونَ حكيماً».

لحمِ البقر، على سبيل المثال- ولكنَّها عاجزةٌ تمامًا عن تُلغي الفرقَ بين الصَّواب والخطأ، أو تغيير آرائنا كثيراً حول روحِ الأخلاق. إنَّني لا أعرفُ، على الأقل، أيَّ وجهةَ نظرٍ يعتنقُها أيُّ شخصٍ في أيِّ مسألةٍ دينيةٍ، إذا اعتنقتُها، أنْ تغيِّرَ اعتقادي الحالي بأنَّه من الصَّواب أنْ نَسقي كلبًا عطشانًا، ومنَ الخطأ أنْ نرتكبَ أعمالَ القرصنةِ أو الغشِ في لُعبة الورق.

[7] وهناكَ صورةٌ أخرى من صورِ هذا الخطأ نفسِه تتمثَّلُ في الإقرار بأنَّ بعض المُعتقدات الدِّينية، وإنْ كانت لا تجعلُ الأخلاقَ عبثيةً، فإنَّها تمنعُ في المُمارسة أولئك الَّذين قَبلوها من السَّعي إلى الفضيلة بإصرارٍ وحماسة. يبدو أنَّ وجهة النَّظر هذه قد أبْطلَتها التَّجربةُ، التي أعتقد أنَّها تخبرنا أنَّ الحَّماسة الَّتي يُبديها مُختلفُ النَّاسِ نحو الفضيلة، على الرَّغم من اختلافها كثيرًا ولأسباب عدة، فإنَّها لا تختلفُ تبعاً لوجهاتِ نظرهم عن الأمورِ الدِّينية. **فالنَّاسُ الذين يؤمنون، على سبيل المثال، بالله، أو بالخلود، أو بالتَّفاؤُل، لا يبدو أنَّهم أفضل ولا أسوأ أخلاقيًا من أولئك الَّذين يكفرون بها.**

[8] أمَّا الخطأ الثَّاني، فهو وجهة النَّظر القائلة بأنَّ بعض الاعتقادات في الأمور الدِّينية، هي في نظر أولئك الذين قبلوها، تُدمِّر قيمة العديد من أجزاء التَّجربة الَّتي كانت لتحظى بخلاف ذلك بقيمة عليا. فقد زعم **تينيسون**، على سبيل المثال، بأنَّ إنكار[6] الخُلود يُدمِّر قيمة الحُب، حتَّى ولو استمرتِ الحياة بقوله:

والحُبُ يَرُدُ بحسرةٍ،
عَلَى صَوْتِ ذلكَ الشَّاطئِ الْمَنْسِيِّ
وسَيُغيِّر حبيبتي أكثر فأكثر،
وكأنَّني نصفُ ميتٍ لأعْلَمَ أنِّي سَأَمُوتُ.[68]

[9] ويبدو لي على القطع هنا أيضا أنَّه يوجدُ خطأ. فوجهاتُ نظرنا فيما يتعلقُ بطبيعةِ الكونِ ومصيره النِّهائيين قد تُؤثر في أحكامنا فيما يخص عمومية بعض أنواع الخير، أو فيما يتصل بمُدتها، أو فيما يتصل باحتمال تزايدِ شِدتها في المستقبل. ولكنَّني لا أرى كيفَ قد تؤثرُ وجهاتُ النَّظر هذه في حُكمنا على مدى خيرية هذه الأشياء الخيرة، كما نجدُها هنا والآن. والواقع أنَّه إذا لمْ ننْطلق من اليَقين بأنَّ الحُبَ لمدةِ ساعةٍ على الأرض هو خيرٌ غير مشروط، فإنَّني لا أرى أيَّ أساسٍ يُمكننا أنْ نستندَ إليه للإيمانِ بأنَّ الحُب سيكون خيراً إلى الأبد في الجنة.

[10] إنَّني أعترفُ بأنَّ وجهات النَّظر هذه خاطئةٌ، ومنْ يرفضُها باعتبارها أخطاء فإنَّه يفعلُ خيراً. ولكن ردَّ الفعلِ الناتج عنها، كما قلت سابقا، يذهبُ أحياناً إلى أبعد ممَّا ينبغي، ويؤدي إلى إنكار الأهمية العملية لمُشكلاتِ الدِّين. وهذا خطأ جسيمٌ أيضاً. فمهما كانتِ الإجابةُ صحيحةً عن مُشكلات الدِّين، فإنَّ الخيرَ سيكونُ

68- ألفرد لورد تينيسون، **مرثية: في ذكرى آرثر هنري هيليم**.

مختلفاً عن الشَّر، وسيكونُ الصَّوابُ مُختلفاً عن الخطأ، وسيكونُ الكثيرُ ممَّا نفعلُه ونشعُر به في هذه الحياة الحاضرة خيراً، وسيكون الكثيرُ منهُ شراً. لكنْ إذا تساءلنا عنْ مِقدار الخير الموجود في الكونِ، وتساءلنا عن مِقدار الشَّر الموجود فيه؛ [7] وإذا تساءلنا عمَّا إذا كان الرَّأي الغالب في الكون يكونُ على صواب أو على خطأ، أو مختلفاً عنهما معا؛ وإذا تساءلنا عنِ المصير النِّهائي للكونِ أو عن مصيرنا، فإنَّه يجبُ الإجابة عن كلِّ هذه الأسئلة بطريقة أو بأخرى وفقًا للحلِّ الَّذي نتبناه في المُشكلات الدِّينية، وفي تلك المُشكلات الفلسفية الَّتي تُحمل على الدِّين. فهلْ هناك أيُّ أسئلة تؤثرُ على رفاهيتنا أكثر من هذه الأسئلة؟ صحيحٌ أنَّ ما يُؤثرُ في رفاهيتِنا من حيث المبدأ هو حقيقة هذه الأمور، وليس معرفتنا للحقيقة. لكن، فالإيمانَ بأنَّ الأمور جيدة في العالم يجلب السَّعادة، والإيمان بأنَّ الأمور سيئة فيه سيجلبُ الشَّقاء. وهذا ينطوي على الأهمية العَملية الشَّديدة لإيمانِنا فيما يخص مُشكلات الدِّين.

[11] ولنتأمل بعض هذه المُشكلات الَّتي نُسمِّيها مشكلات دينية. ففي المقام الأول هناك السُّؤال العام المتعلق بالتَّفاؤل أو التَّشاؤم. فهلِ الكونُ برُمته أكثر خيراً من الشَّر؟ من المُمكن بالطَّبع أنْ نزعم أنَّه من المستحيل علينا أنْ نُجيب عن هذا السُّؤال. ولكن بعض المذاهب تزعمُ أنَّ الإجابة عن هذا السُّؤال مُمكنة، وبعضها تُجيب بأنَّ الخير يسُود، وبعضها الآخر تزعم أنَّ الشَّر يتغلبُ على الخير. إن الأهمية العملية للحقيقة في هذه المسألة لا تحتاج إلى إكراه؛ لأنَّ خيرية الكونِ أو شرِّيته هو الكلُّ الَّذي يشكلُ كلّ شيء آخر ذا أهمية عملية جزءًا منهُ.

[12][8]وبناء على ذلك، فإنَّ إيماننا بهذا الموضوع لابد وأنْ يكونَ له تأثيرٌ كبير في سعادتنا. وما دام الأمر يتعلقُ فقط برفاهيتي في هذه الحياة أو برفاهة أصدقائي، فإنَّ السؤال الأكثر عمومية لنْ يكون له تأثيرٌ يذكر؛ وذلك لأنَّنا في هذه المجالات المحدودة نمتلكُ وسائل تجريبية للحُكم على الحاضر أو استنتاج المستقبل القريب، وهي وسائل أكثر يقيناً من الاستنتاجات من الطَّبيعة العامة للكون. ولكنَّ قِلةً من النَّاس يحدون اهتماماتهم بالكامل بمن يعرفونهم شخصياً، ثم يطرحُ دائماً السُّؤال عمَّا إذا كانتْ حياتي وحياة أصدقائي قد لا تمتدُ إلى ما لا نهاية أبعد من تلك الفترة القصيرة في أجسادنا الحالية والَّتي هي كلُّ ما يُمكننا معرفتُه الآن بالمُلاحظة.

[13] وهناك سؤال آخر لا يقلُ أهمية عن الأسئلة الأخرى، وهو: هلْ يصبحُ الكونُ أفضل أم أسوأ مع مرورِ الزَّمن؟ وإذا أصبح أحدُهما، فأيُّهما يصبح، الأفضل أم الأسوأ؟ وهذا السُّؤال له نفس الأهمية؛ لأنَّ من تصرُّف طبيعتنا على ما يبدو أنْ ننظر إلى الخير والشَّر في المستقبل بمشاعر مختلفة تمام الاختلاف عن تلك الَّتي ننظر بها إلى الخير والشَّر في الماضي. ولو كانَّ من المعلوم أنَّ العالم أكثر شرًّا من الخير في مُجمله، لكانَّ لزاماً علينا أنْ ننظر إليه ببهجة، لو كنا نؤمن بأنَّ مُعظم الشَّر يكمن في الماضي، وأن المستقبل سيكون على الغالب خيراً. ورغم أنَّ العالم برُمته معروف بأنَّه أكثر خيرًا من الشَّر، فإنَّ هذا لنْ يمنحنا سوى القليل من الرَّاحة[9] إذا كانَ ذلك الجُزء من مساره الَّذي لا يزالُ في المستقبل أكثر شرًّا من الخير.

[14] ثم لننتقلُ إلى مسائل أقل عمومية، فهناك مسألة الخلود. إنَّ معتقداتنا حول هذا الموضوع سوف تؤثرُ أيضاً بشكل عميق على سعادتنا. فبعضُ النَّاس يرغبون في الفناء، وآخرون ينفرون منه، ولكن قِلة قليلة من النَّاس لا يبالون بذلك. وحتَّى من بين هؤلاء، على ما أظن، لنْ يكون أحدٌ منهم غير مبالٍ بالسُّؤال التالي حول نوع الحياة المُستقبلية، إذا كانت هناك حياة مستقبلية.

[15] ثم هناك مسألةُ وجود الله. ولا شك أنَّ أهمية هذا السُّؤال بالنِّسبة لرفاهيتنا قد تم تهويلها؛ وذلك بسبب الفشل في فهم البدائل. فقد افترضَ البعض أنَّ البديل الوحيد للإيمان بالله هو الإيمان ببعض المذاهب الشكية أو المادية التي قد لا تتوافق مع أيِّ أملٍ في أنْ يكونَ الكون برمته منسجما أو منظمًا أو خيِّرا. ولكنَّ هذا خطأ. فهناك مذاهب تعتقدُ أنَّ الكونَ منسجماً ومنظماً وخيرا، على الرغم من أنَّها تنكرُ وجود الله. ومن جهة أخرى، فإنَّ وجودَ الله لا يُشكِّلُ في حد ذاته على القَطعِ ضمانةً بأنَّ الكونَ كان خَيِّراً. فلا شكَ أنَّ هناك شراً في الكون. وإذا كانَ الشَّرُ موجوداً؛ لأنَّ الله لمْ يعترض عليه، فكيفَ لنا أنْ نعرفَ مِقدارَ الشَّر الَّذي قد يتسامح معه، أو حتى يرحبُ به؟ وإذا كانَ الشَّرُ موجوداً - كما يقول أغلبُ المتدينين المعقولين الآن- لأنَّ الله لمْ يستطعْ أنْ يمنعَه، فكيف لنا أن نعرف مقدار الشَّر الَّذي قد يكونُ خارجاً عن قُدرته لمنعه؟**[10]** ربما يكونُ الإيمانُ بالله حَلقةً في سِلْسلةٍ من الحُجج المُؤدية إلى التَّفاؤل، ولكنَّه في الواقع بعيدٌ كلَّ البُعد عن أنْ يكونَ دليلاً كاملاً على التَّفاؤل.

[16] ولكنْ على الرَّغم من كلِّ هذا، لا يُمكنُ إنكار أنَّ إيمان كثير من النَّاس بوجودِ اللهِ أو عدمِ وجودِه يرتبطُ ارتباطًا وثيقًا بسعادتهم. وحتى أولئك الذين لا يُبالون بهذه المسألة لنْ يكونوا غير مبالين بالتأكيد بالسُّؤال عمَّا إذا كانَ هناك إله، ولو كانَّ هناك إله، فهو كما افترضَه اليهودُ الأوائل، أو كما افترضَه اليسوعيون أو الكالفينيون في القرن السَّادس عشر.

[17] لذلك، فإنَّ إيماننا بالقضايا الدِّينية يؤثر في سعادتنا بشكلٍ عميقٍ. وبمقدُورنا أنْ نتصور - بالفعل، كما نعلم من التَّاريخ ومن خلال الفكر الحاضر- معتقدات منْ شأنها أنْ تجعل الحياة شقية للغاية بالنِّسبة لأيّ شخص تتجاوزُ اهتماماتُه الحاضر المباشر وبيئته المباشرة. وهنا نجدُ الحاجة إلى الشجاعة؛ لأنَّه، إذا كانَ لنا أنْ نُفكر في هذه الأمور على الإطلاق، فلابُد أنْ نقبل الإيمان الَّذي لدينا أدلة عليه، ولابُد أنْ نرفضَ الإيمانَ الَّذي لا توجدُ لدينا أدلة عليه، مهما كانَ الأولُ مُنفرًا لنا، أو مهما كان الثَّاني مُغريًا لنا. وفي بعض الأحيان، لا يكونُ هذا سهلاً.[69]

[18] لمَّا نتعاملُ مع معرفة العلم، أو مع الحياة اليومية، لا نواجهُ صراعاً مماثلاً. أولاً، غالباً ما لا نختلف كثيراً حول **ما** الحلِّ الصَّحيح لمشكلة ما، فأيّا كان هذا الحل، يمكننا أن نعرفه **[11]**. قد يكون من الأهمية بمكان بالنسبة لنا أنْ نعرف أيَّ نوعٍ من المباني سيتحملُ صدمةَ الزِّلزال على نحو أفضل، ولكن نوع هذا المبنى ليس

69- هذه العبارة لا تختلف عن عبارة **وليام كنغدون كليفورد** في مقالته المشهورة: «أخلاق الإيمان»، والتي مفادها أنه: «من الخطأ الفادح والشَّنيع دائما وأبدا الإيمانُ بأيّ شيءٍ، وفي كلّ الأحوال، وبما يقوله أيُّ شخص استنادا إلى أدلة غير كافية.». انظر: كليفورد، وليام كنغدون، «أخلاق الإيمان»، ترجمة أحمد فريحي، **موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود**، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، فئة ترجمات، 20 سبتمبر 2024. وانظر كذلك: تشيغل، أندرو، «ما هي أخلاق الإيمان»، ترجمة أحمد فريحي، **موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود**، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، فئة ترجمات، 3 دجنبر 2024

مهماً نسبياً؛ لأنَّه مهما كان نوعه، يُمكننا أنْ نبني على هذا النَّحو في المناطق الَّتي ضربها الزِّلزال. وقد يَكونُ من المُهم للغاية أنْ نعرفَ أيَّ دواء من بين دواءين سيشفي مرضاً ما، ولكن من غير المهم أيُهما هو، طالما أنَّنا نعرفُه ونستطيعُ استعمالَه.

[19] لو كانَ علينا أنْ نطرحَ السُّؤال التَّالي: هلْ يوجدُ **أيُّ** دواءٍ قادرٍ على علاجِ هذا المرض؟ فإنَّ الإجابة عن هذا السُّؤال قد تكونُ مُهمةً للغاية بالنسبة لنا. وفي مثل هذه الحالة قد نستسلمُ لإغراء الإيمان لفترة قصيرة بأنَّ هناك علاجًا قد تمَ اكتشافُه، في حين أنَّه في الواقع لم يتم اكتشافه. ولكنَّ هذا الإغراء لا يدوم طويلًا. فلمَّا يتمُ تجربةُ الدَّواء، وتجربةُ فشله في العلاج، فإنَّ الجميع يقتنعون به باستثناء الأضعف. ولكنْ لا توجدُ أيُّ مساعدة مُماثلة في الدِّين والفلسفة؛ لأنَّه، إذا كانَ من الممكن أن يكون هناك أيُّ تحقق تجريبي لإيماننا مثل هذه الموضوعات، فإنَّه على الأقل لنْ يكون على الجانب الآخر من الضياع. وإذا انحرفنا عن الطَّريق الصَّحيح بسبب الجُبن، فلا يجبُ أنْ نأملَ في أنْ تُعيدَنا التَّجربةَ إلى الوراء.

[20] إنَّ هذا الضَّغطَ شديدٌ للغاية بلغ إلى الحد الَّذي جعل النَّاس يُحاولون في كثير من الأحيان على مدار تاريخ الفكر تبريرَ ضُعفهم بالإقرار بأنَّنا نملكُ الحقَ في الإيمان بقضية ما إذا كانَ صدقُها سيكون خيرا جدًّا، أو على أقل تقدير إذا كانَ كذبُها سيكون شرًّا جدًّا. ومرة تلو الأخرى، وفي أشكال مختلفة، **[12]** يقابلُنا هذا المطلب في كثير من الأحيان في أعمال النَّاس الذين لا نتوقعُ منهم ذلك على الإطلاق. ولكن على حسب ما أعتقد، فحيثما نجدُ هذا المطلب، فلابُدَّ أنْ نرفضَه. فقد يكون الكونُ سيئًا للغاية إذا كانَ هذا الإيمانُ أو ذاك خاطئًا. ولكنْ كيف لنا أن نعرف أنَّ الكونَ **ليس** سيئاً للغاية؟ فلا توجدُ علاقة جوهرية **قبلية** بين الوجود والخير. وإذا كانَ بوسعنا أنْ نُثبت أنَّ طبيعةَ الوجودِ هي من النَّوع الَّذي **يكون** خيراً، فهذا أفضل كثيراً. ولكنَّ مسألة طبيعة الوجود هي الَّتي نسعى إلى تحديدها، وليس من حقنا أنْ نبدأ بافتراض أنَّ هذه الطَّبيعة خيرة.

[21] ولا يُمكننا أنْ نلجأ إلى الحُجة التي تُستعمل كثيراً، والَّتي تقولُ إنَّ رغباتنا في الخير- أي تلك الرَّغبات التي يؤدي إحباطها إلى البؤس الَّذي نتجنبه- هي رغباتٌ واقعيةٌ مثل أيِّ شيء آخرَ في الكونِ، وتشكِّل أساساً سليماً للحُجة مثل أي شيء آخر. فلا شكَ أنَّها واقعيةٌ، وتشكل أساساً للحجة؛ ولكن يبقى السُّؤال المطروح هو: ما الحجة الَّتي يمكنُ أن نستند إليها؟ إذا كان هناك أيُّ خير هنا، فإنَّ الحُجة لابُد أنْ تكونَ على النَّحو الآتي: فبما أنَّ الخيرَ فينا موجودٌ حقاً كرغبات، فإنَّ الكون لابُد أنْ يكون من النَّوع الَّذي يُشبعها. وهذا غير صحيح. لأنَّ وجود الرَّغبة لا ينطوي على وجود إشباعها. فكلُّ واحدٍ منا كانتْ له رغباتٌ عديدةٌ لم تُشبعْ، ولا يمكنُ إشباعُها أبداً الآن.

[22] ليس بمقدورنا أنْ نُجادل إذن في أنَّ الألم الَّذي يُسبِّبُه لنا الإيمان**[13]** هو زيفُ هذا الإيمان. وإذا قررنا أن نفكرَ بحرية في هذه الموضوعات، فإنَّنا نُخاطر بالتَّوصل، كما توصل آخرون من قبلنا، إلى استنتاجات قد يكونُ الألم النَّاجمُ عنها عظيماً للغاية. ومن الصَّحيح، على حد علمي، أنَّ أيَّ شخصٍ فكَّر بحرية في هذه

الموضوعات لمْ يصل إلا إلى استنتاجات مزعجة مثل استنتاجات بعض المذاهب اللاهوتية التَّقليدية الَّتي تتلاشى الآن في الماضي. إنَّ أفكار الجحيم الذي لا نهاية له، وأفكار الإله الظَّالم، أو تفسير الوحي المزعوم، هي ثمار التَّقاليد القديمة، وليست ثمارا للتفكير المُستقل على الإطلاق، كما أعتقد. ولكنْ إذا كنَّا لا نجدَ المزيد منَ الأملِ، ولا المزيدَ من الغاية، ولا المزيدَ من القيمة في الكونِ ممَّا وجده **هوبز**، أو **هيوم**، أو **شوبنهاور**، فإن الألم النَّاجم عن هذا، وخاصة بالنسبة لمن كانَّ يأمل في نتائج أفضل، أو ربما، من تمسكَ بها ذات يوم، قد اكتسب الألمَ الناجم عن هذا، ليس بالأمر التافه في بعض الأحيان.

[23] لمَ لا نحاولُ الفرارَ من الألم؟ لمَ لا نقبلُ بعضَ المُعتقدات التَّقليدية دون بحثٍ وتدقيقٍ؟ فقد تكونُ هناك حججٌ لصالحها، وقد تكونُ هناك حججٌ ضدَّها. ولكن إذا كانَ آخرون قد قَبلوها دون بحثٍ وتدقيقٍ في هذه الحجج. فلمَ لا نقبلُها نحنُ؟

[24] إنَّ مثلَ هذا الاقتراح له جاذبية أكبر ممَّا كان ليحظى به من جيلين سابقين. فمن غير المُرجح، في أوروبا في العصر الحالي، أنْ يقبلَ الإنسانٌ أيَّ دينٍ بهذه الطَّريقة، باستثناء شكلٍ من أشكال المسيحية. وعلى الرَّغم من أنَّ المسيحيةَ قبل ستين عاما، كانت بلا شك[**14**] من النَّوع الَّذي يمكن للعديد من النَّاس **أن يؤمنوا** بأنها صحيحة بصدق، إلاَّ أنَّها كانت من النَّوع الَّذي لا يمكنُ لأيِّ إنسان **أنْ يتمنى** أنْ تكونَ صحيحة، إلاَّ إذا كان شخصاً مجردا من الخيال أو الإنسانية. ولا تزالُ المسيحية في الوقت الحاضر من هذا النَّوع. ولكن من السَّخافة والظُّلم أنْ نُنكر أنَّ نوعَ المسيحية الَّذي يزدادُ قوة نسبيًا كلَّ عام يختلفُ عنها تمام الاختلاف. إنْ كانت وجهة نظرها إلى الكون هي وجهة نظر قد تخوِّل لنا وصف الكون بأنَّه خيِّرٌ. فلِمَ لا نقبلُها دون المُخاطرة بالبحث؟

[25] أو إذا لمْ يكنْ بوسعنا أنْ نفعلَ ذلك، فلمَ نشغلُ أنفسنا بهذه المُشكلات أصلاً؟ أليسَ العالمُ الَّذي نراه كبيرا بما يكفي ليشغلَ حياةً قصيرة مثلَ حياتِنا؟ ألاَ ينبغي أنِ نستمتعَ بالخير، ونسعى إلى زيادته ومشاركتِه مع الآخرين، ولا نطرحُ أسئلة حولَ ما خلفنا، وما وراءنا، وربما ما فوقَنا؟

[26] ولكنْ هناك من يتعقبُون الحقيقة. فما هي مكافأتهم؟ هلْ نستطيعُ أنْ نجيبَ بعباراتٍ كُتبت عن **سبينوزا**، وهي جديرةٌ بأنْ تكونَ من تأليفه في قوله: «حتى ما نصح به أناس صادقون شجعان عبر كلِّ الأجيال لأناسٍ لهم آذان غافلة. ابحثوا عن الحقيقة، لا تخافوا ولا تدَّخروا جهداً: هذا هو الأمر الأول، هذه الغاية لذاتها، لذاتها فقط؛ والحقيقةُ نفسها هي مكافأتُكم- إنَّها مكافأة لا تقاسُ بطول الأيام ولا تُقاس بأيِّ اعتقادٍ للناس».[70]

[27][**15**] إنَّها أجملُ وأصدقُ عبارة، ولكنَّها ليست الحقيقة برُمتها. فمعرفةُ الحقيقة، رغم أنَّها خيرٌ عظيمٌ، فإنَّها ليستِ الخيرَ الوحيدَ، وربما ليستِ الخيرَ الأسمى. فإذا كانَ صديقي يُعاني من الألم أو منفصلاً عنِّي، وإذا كانَ الكونُ لا قيمةَ له أو أسوأ من ذلك، فلا توجد مواساة كافية لأعرف أنَّني أرى الشَّر بوضوحٍ على الأقل.

70- السَّيد فريديريك بولوك، **سبينوزا: حياته وفلسفته**، الفصل التاسع.

[28] ثم إنَّه، هل تكونُ الحقيقةُ دائماً مكافأةً للبحث عن الحقيقة؟ لا يُمكنْ أنْ تكون كذلك دائماً، فإذا كانَ البعضُ قد بلغوا الحقيقة، فلابُد أنْ يكون الآخرون الذين اختلفوا معهم قد فشلوا في ذلك. أمَّا مكافأة البحثِ، فهلْ نحنُ على يقينٍ من أنَّها لنْ تكونَ أي شيء سوى البحث نفسه؟

[29] هل يُمكنُنا أنْ نقدِّم أيَّ مزايدة أخرى غير تلك الَّتي تمَ تقديمها ذات يومٍ لبحث أكثر قداسة؟

تعالوا- إنَّكمْ ستُعانُون من الألمِ، ولنْ تُبصروا النِّهاية!

تعالوا- إنَّكمْ ستُعانُون من الخَوف، وسطَ السَّماءِ الملبَّدة بالغيوم!

تعالوا- إنَّكم ستعانُون من التَّغيير، لأنَّكم تتجهون بعيدًا!

تعالوا- فلنْ تحصلوا على مُكافئةٍ لعطشِكم وصيامِكم،

ولكن-[71]

هنا يجبُ أنْ نتوقفَ أمامَ الوعدِ الآتي: فقدْ تكونُ مكافئةُ عطشِنا وصيامِنا الجَنات المفتوحة والرُّؤية السَّعيدة. وقد لا تكونُ سوى العطش والصِّيام نفسُه.

[30] ربما لا يُوجدُ أيُّ حافزٍ قويٍّ وراء كلِّ هذا؟ ولا حاجةَ لأيِّ حافزٍ آخر. فهناك منْ يتوقون إلى الحقيقةِ بشوق بسيطٍ، ونهائيٍّ، وقوي، [**16**] مثل شوق السِّكير إلى الخَمرة، وشوقِ العاشق إلى محبوبته. وسوف يبحثون، لأنَّهم مُلزمون بذلك. وها نحنُ قدْ بحثنا.

مصْدرُ المَقالة:

McTaggart, John Ellis McTaggart., ***Dare to Be Wise: An address delivered before the «heretics» Society in Cambridge, on the 8th December, 1909.*** **London: Watts & co. 17, Johnson's Court, Fleet Street, E.C. 1910**

71- وليام موريس، **الحب كافي**.

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com